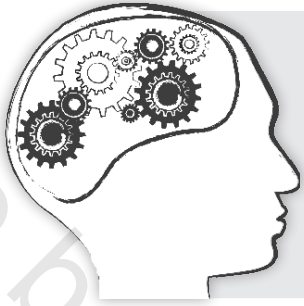

الجزء الأول

الباب الأول

- نظرة علي واقعنا المعاصر
- أسباب انهيار حضارات ماضية و ازدهار حضارات قائمة
- منشأ الأخلاق
- الدين والأخلاق
- البشرى أننا الأقدر
- فلنجعل الهموم هماً واحداً
- ازرع قيمة
- حلم سيتحقق ـ إن شاء الله ـ

obeikan.com

نظرة على واقعنا المعاصر

فوضى وعدم تحمل للمسئولية .
عدم إتقان وأنانية.. والتملص منه.
إهدار للوقت
لامبالاة وأنانية .
عدم التزام بأي مثل أو مبادئ والنظام..
فقدان لقيمة الجمال والنظافة والنظام .
إباحية متدرجة مساوئه فقط .
إباحية متدرجة في الإعلام أو الدراما
فقط أمةدهور في جميع المجالات ، فلا صحة ، لا تعليم ، لا صناعة ، لا زراعة ، لا ابتكار ، لا اقتصاد ،لا فن ، لا إنتاج .....فقط أمة مستهلِكة لا تأكل من زرعها ، ولا تلبس من صنع يديها...

وإن كان الكلام في هذا الموضوع مؤلم وموجع ،إلا أنه من الضروري بمكان أن نضع أيدينا على السبب الحقيقي بل والجذري لهذا التردي ، فما عرضته سابقاً ما هو إلا نتائج بديهية لخللٍ ما أصابنا في الصميم في قيمنا وأخلاقنا ، فلقد وصل بنا الحال لمستويات خلقية يندى لها الجبين ، حيث أصبح الكذب من ضروريات الحياة ، وأصبحت الأمانة عملة نادرة ، والرشوة أمر طبيعي لتسيير المصالح، ناهيك عن التملق والنفاق ، ،والغيرة والحسد والحقد والكراهية ، وظاهرة عدم احترام الصغير للكبير، والقسوة المبالغ فيها من الكبير للصغير

obeikan.com

، وبـذاءة اللسـان والشـتائم المتداولـة هنـا وهنـاك وخاصـةً بـين الشـباب وكأنهـا بالـشيء الطبيعـي أن تسـمعها في كل مـكان، في الشـارع، في النـادي ، في البرامـج الإعلاميـة والدرامـا التـي تدخـل كل بيـت دون اسـتئذان ، حتـى في أرقـى الأماكـن وفي جميـع الأوسـاط وكافـة المسـتويات, ولـذا فأنـا هنـا أريـد التركيـز عـلى الأسـباب ثـم أتطـرق للبحـث عـن الحلـول .

وبدايـةً ولنكـن صرحـاء مـع أنفسـنا ، ولنواجـه الحقيقـة ، فالحقيقـة ليسـت أمَّـر مـما وصلنـا إليـه مـن أزمـة حقيقيـة ليسـت في الأنظمـة الفاسـدة أو الحكومـات غـير المسـئولة فحسـب، بـل إن كان هناك فسـاد في النظـام فإنمـا هـو نتيجـة طبيعيـة للخلـل الأخلاقـي السـابق ، ولكـن الأزمة الحقيقيـة هـي في إلقـاء المسـئولية .. نعـم إلقـاء مسـئولية كل واحـد منـا عـن عاتقـه إمـا عـلى الآخـر أو عـلى الظـروف أو عـلى المديـر أو عـلى الحاكـم أو...أو..أو.. حتـى أصبحـت عـادات شـعب وثقافـة أمـة

فلنقـف لحظـة صـدق مـع أنفسـنا وليسـأل كل واحـدٍ منـا نفسـه ... مـا الـذي كان يجـب أن أفعلـه ولم أفعلـه ؟ مـاذا كان مـن واجـبٍ مفـروض عـليّ ولم أقـم بـه؟

قـال النبـي ﷺ : « **كل رجل من المسلمين على ثغر من ثغر الاسلام ، الله الله لا يؤتى الإسلام من قبلك.**» **اسناده مرسل**

فماذا فعلت حتى تسد ثغرك ؟

لا شـك أننـا كلنـا مخطئـون أو مقـصرون ، كلنـا كنـا سـبباً في هـذا القصـور، فهنـاك دائمـاً الآخـر الـذي يرفـع عنـا الحـرج فنحملـه أخطاءنـا وذنوبنـا، وبـدلاً مـن أن نعـترف بالخطـأ فضَلنـا أن نتقمـص دور الضحيـة حتـى نريـح ضمائرنـا ، ونميـت قلوبنـا ونكـف أيدينـا عـن العمـل .

أخطأنا إما بالسلوك الخطأ وإيجاد المبررات ، أو بالسكوت عن الخطأ والسلبية ...

ولكن تخلينا عن المسئولية لم يكن يعفينا من العواقب ولا من العقاب ،فالعدل الرباني والقانون الكوني الذي يسري على الجميع بغض النظر عن الدين أو الجنسية أو البلد يقضي بأن «الجزاء من جنس العمل «،فعاقبة الخير هناء وسعادة ، وعاقبة الشر شقاء وتعاسة .

لقد ظلمنا أنفسنا وما ظلمنا من أحد ، فنحن خلقنا بأيدينا ذلك المجتمع المتهاوي المنهار الذي غُشيت ملامحه، واهترأت أخلاقه وضاع فيه الضمير ، وغيبت فيه الأمانة .

لقد كنا مختبئين تحت عباءة فساد الحكام والمسئولين، حتى إذا أزيح الستار تكشفنا وتعرينا أمام أنفسنا بينما لم يكن هؤلاء الحكام والمسئولين إلا أداة عقاب ونتاج للانحلال الأخلاقي الذي غرقنا في ركامه منذ عقود. ولذلك فقد عوقبنا بهم وعوقبوا بنا .

ولقد حدد المؤرخ (ادوارد جيبون) مؤلف كتاب (انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية) أن من أسباب انهيار وسقوط الأمم هو انهيار المسئولية الفردية ، وإحساس الفرد بمسئوليته تجاه المجتمع .

أسباب انهيار حضارات ماضية وتقدم وازدهار حضارات قائمة

على مر الزمان قامت حضارات عديدة كان أساسها الإنسان منها ما ولى واندثر ، ومنها ما قام واستمر ، و لكي نقيم حضارة وجب علينا أن نتعلم كيف تُصنع الحضارات ،ولكن دعونا نلقي الضوء أولاً على لمحات من أسباب انهيار حضارات سبقتنا على مر التاريخ ثم نقوم بجولة في بعض الدول المتقدمة لنعرف ما هو سر تقدمها؟!

إن دراسة ومعرفة أسباب انهيار الأمم من المهم بمكان حيث أن هذا السؤال هو الوجه الآخر لمعرفة كيف تحيا الأمم وتنمو وتزدهر ونحن هنا بصدد عرض نقطتين هامتين وهما :

- **ما هي أسباب انهيار أمم وحضارات عاشت وازدهرت ثم اختفت كالحضارة اليونانية والبابلية وغيرها؟**
- ما سر تقدم دول مثل أمريكا وأروبا واليابان ودول واعدة أخري مثل ماليزيا وتركيا والبرازيل وغيرها وأسباب تفوقهم ؟

obeikan.com

أولاً:أسباب انهيار أمم وحضارات عاشت وازدهرت ثم اختفت .

قدم المؤرخ البريطاني «توينبي» أعظم دراسة لتاريخ الأمم والحضارات وأسباب صعودها وسقوطها حيث كرس حياته لدراسة هذه القضية وقد قدم موسوعة ضخمة مكونة من ١٢ مجلداً بعد دراسة ٢٢ حضارة ، والذي خلص منها إلى نظرية سماها « نظرية التحدي والاستجابة» حيث مضمونها أن الحضارات تقوم استجابة لتحديات محددة سواء كانت هذه التحديات مادية او اجتماعية. وأن الحضارة عندما تصل الى مرحلة تعجز فيها عن الاستجابة للتحديات التي تجابهها ، فإنها تدخل في مرحلة الانهيار.

>> ولكن ما الذي يقود حضارة للعجز عن مواجهة التحديات التي تقابلها؟

استنتج توينبي من تحليله أن السبب الرئيسي لهذا العجز هو عندما تفقد الحضارة قوتها الأخلاقية والقيمية والروحية ، أي عندما تشهد انهياراً قيمياً وأخلاقياً ودينياً ،وفي تحليل توينبي أن هذا الانهيار يقود إلى الجمود ، والعجز عن الإبداع والابتكار والتجديد، ومن ثم العجز عن التحديات ، وعندما يحدث ذلك فإن هذه الأمة أو الحضارة يحدث لها بتعبير توينبي «شرخ في الروح «،والذي يقود بدوره إلى السقوط والانهيار.

وبناءاً على هذه النظرية فإن توينبي يقسم مراحل تطور الحضارات

obeikan.com

إلى خمس مراحل هي :

- مرحلة الميلاد والنشأة.
- مرحلة الازدهار والتوسع السريع.
- مرحلة الجمود والعجز عن التطور والإبداع والتجديد .
- مرحلة الانحلال والتدهور الأخلاقي.
- مرحلة السقوط والانهيار.

وخلص من نظريته إلى أن الأمم والحضارات تموت بسبب عوامل داخلية . وفي القلب من هذه العوامل انهيار القيم الأخلاقية ، ولخص دراساته هذه في عبارة بليغة وهي :

« إن الأمم لا تموت قتلاً ولكن تموت انتحاراً «.

وقد خلص المؤرخ الأمريكي «ويل ديورانت « من دراسته المتعمقة أيضاً للتاريخ لنفس النتيجة التي مضمونها كما قال : «الحضارات العظيمة لا تنهزم إلا عندما تدمر نفسها من داخلها.

ثانياً: ما السر وراء تقدم الدول ؟.

قبل الاستطراد في الحديث والبحث عن إجابة هذا السؤال فدعونا نشاهد لقطات سريعة من سلوكيات الغرب أولاً ، ثم نسقط نفس المشاهد على واقعنا الحالي في بلادنا .

obeikan.com

• **تأمل ..... وقارن !**

عندما تمرض أو تصاب بحادث فإنك فوراً تجد من يقلك للمستشفي وهناك تجد فريقاً طبياً كاملاً يسرع لإنقاذك ، وبعد كل الفحوصات والإشاعات الازمة ومن ثم العلاج والمداواة يأتي السؤال عن المال ، وهناك تأميناً صحياً لكل مواطن يغطي كافة نفقات العلاج ويلقى به كافة الرعاية الطبية مهما كانت التكلفة.

(أما هنا فأمامك خياران إما أن تنقل إلى المستشفى الحكومي المدعمة وتتقبل أدنى مستويات الرعاية الطبية والإهمال والا مبالاة ناهيك عن عدم النظافة وعدم توفر الأدوية والعلاجات.....!!،
وإما أن تنقل إلى مستشفى خاص ، وهنا يجب أن تكون من الأغنياء والمقتدرين لأنك ستفاجأ بعبارة (الدفع أولاً) .

صورة أخرى وهي صورة ضابط يوقفك على الطريق لتنبيهك أنك اقترفت مخالفة ما ، فإنه ينبهك لخطئك أو يطلب منك الرخصة أو الغرامة بكل أدب وهدوء دون إهانة أو إيذاء ، فالقانون يطبق بكل حزم دون إهانة أو تجريح مادي أو معنوي حتى مع المجرمين العتاة .

(أما نفس الصورة عندنا فليس من المستغرب أن تقابل بالإهانات والألفاظ البذيئة ، أو تدفع رشوة للشرطي وأحيانا للضابط لتمر بسلام).

لقطة أخرى عند إشارة المرور ، فكل السيارات تنتظر حتى وإن لم يتواجد شرطي المرور ، والمشاة يلتزمون بالسير على خط المشاة حتى وإن كان في مكان مقطوع لا أحد فيه .

(أما عندنا فالمشهد مختلف ، فإذا كنت مستعجل أو حتى غير

مستعجل...! فيمكن أن تمشى أو تسير في الطريق المخالف ، أما طريق المشاة فمن ذا الذي سيذهب خطوات إضافية ليعبر الطريق المخصص للمشاة ؟).

يحكي الدكتور شريف وهو ملحق ثقافي في السفارة المصرية بباريس أنه عندما كان حديث العهد بعمله في السفارة ، وكان قد استلم سيارته حديثاً ، أنه في ذات يوم أخذ أطفاله وخرج بالسيارة، وفجأة ظهرت سيارة شرطة استوقفته ، ونزل منها ضابطة شرطة واقتربت منه ونقرت نقراً خفيفاً على زجاج السيارة حتى يفتح وتكلمه وقالت له : (من فضلك أنت ارتكبت مخالفة لأنك تقف في مكان ممنوع ...والأطفال لا يضعون حزام الأمان ، فقل لي : ما رأيك في هذا ؟ فقال لها : أنا آسف ، فأنا حديث العهد بهذه البلد وبقوانينها فقالت له : حسناً .. من أجل الأطفال سوف أتغاضى عن هذا وكأني لم أرى شيءاً ، ولكن أرجو أن لا تكررها مرة أخرى) .

أما نجلاء فقد ذهبت مع زوجها للعمل بأمريكا وهناك انبهرت بأخلاقهم الرائعة ، فهي تحكي أن الناس هناك ودودون بشوشون ، تحكي أنها عندما تعثرت ولادتها في ابنها الذي ولدته وهي في شهرها السادس أنهم حولوها إلى أكبر مستشفى متخصصة للولادة بنيويورك، وهناك وجدت الرعاية الطبية الفائقة ، والاهتمام الرهيب سواء من الأطباء أو الممرضات ، وبالرغم من أن أمها كانت تخشى عليها أنها وحيدة في الغربة إلا أن نجلاء قالت لها : لقد وجدت منهم رعايةً و اهتماماً لم أكن لأجدها حتى وأنا مع أهلي .

أما المشهد التالي فترى فيه صورة رائعة للشعب الياباني عندما حدثت كارثة الزلزال المدمر عام ٢٠١١ ، وبالرغم من هذه الفاجعة الكبيرة التي هزت اليابان ، إلا أن قيم الشعب الياباني لم تهتز

فظل محافظاً على الأمانة والنظام حتى في طوابير توزيع الطعام على الذين تضرروا.

لقد كانت هذه لقطات سريعة ومقارنات تستطيع من خلالها أن تتلمس إجابة هذا السؤال ...

ما هو الشيء الموجود عندهم وليس موجود عندنا ؟!!

ما السر الذي قادهم للتقدم ونحن مازلنا ننظر خلفنا ؟!!

فالبعض يقول إنهم يمتلكون المال والإمكانيات ، والبعض يقول إنهم يمتلكون العلم والتكنولوجيا، وهناك من يقول أنهم تقدموا بالصناعة، وآخرون يعتقدون أنهم تقدموا عندما فصلوا الدين عن الدنيا...

فهل هذه هي فعلاً الأسباب الحقيقية لتقدمهم ؟

إن السبب الحقيقي وراء تقدم الغرب أنهم أدركوا (قيمة الإنسان) وترتب على هذا الإدراك أن تمحورت قيمهم وأنظمتهم وقوانينهم كلها حول كيفية الارتقاء بهذه القيمة والمحافظة عليها، فوضعوا الاعتبارات الإنسانية أساساً في تعاملاتهم، أما عندنا نحن (فالإنسان) لا قيمة له .

والسبب الآخر هو أنهم وضعوا لأنفسهم قيماً وأخلاقيات ومبادئ اعتبروها سلوكيات جماعية يطبقها الفرد والمجتمع ، وتقوم عليها الدولة ، ويحاسب عليها القانون ، وينشأ عليها الأطفال ، أي أن هذه الأخلاقيات بمثابة قوانين لا أحد يجرؤ على مخالفتها .

وكثيراً ما نسمع عن أناس نزحوا عن بلدانهم إلى بلدان أخرى أكثر تقدماً ، فكان أكثر ما بهرهم من البنيان والعمران هو التعاملات والسلوكيات التي يتعاملون بها، واحترام آدمية البشر، وارتفاع قيمة الإنسان.

وكأمثلة لبعض هذه القيم والأخلاقيات التي صعدت بهم إلى قمة

الهـرم التقدمـي :

- العدل والمساواة.
- الحاكم والمحكوم سواء تحت سيادة القانون.
- الصدق والأمانة
- احترام وتقدير قيمة الإنسان
- تعظيم قيمة الوقت
- تعظيم قيمة العمل
- الإتقان في العمل
- التعاون
- التواضع
- الرقي في التعاملات بين الناس
- احترام الرأي والرأي الآخر
- النظافة والنظام

ولقـد كان أوقـع تعبـير ذاك الـذي عـبر بـه «الإمـام محمـد عبـده» عـن حالنـا وحالهـم حـين قـال: «هنـاك رأيـت إسـلام بـلا مسـلمين و هنـا رأيـت مسـلمون بـلا إسـلام»!

ومن هذا التحليل السريع نخلص بأن صعود الأخلاق وانهيارها كان العامل المشترك بين تقدم الأمم وانهيارها .

ولكـن قـد يقـول قائـل بعـد هـذا التحليـل ....إذاً نحـن نحتـاج إلى صياغـة الأخـلاق مـن جديـد حتـى نرتقـي ونتقـدم ، وليـس مـن المهـم الدعـوة إلى التمسـك بديـن أو تديـن ، ولنـدع كلٍ ومعتقداتـه ومسـتوى تدينـه لنفسـه ولا يعنينـا مـن ذلـك إلا أخلاقـه ؟..بدليـل أننـا لدينـا العقيـدة والديـن وبالرغـم مـن ذلـك متأخريـن في كل شيء !!

فهل هذا الكلام صحيح ؟...

قبـل مناقشـة هـذا التسـاؤل فدعونـا نسـتعرض تجربـة ماليزيـا أولاً ، ثـم نتطـرق بعـد ذلـك لمناقشـة جـذور الأخـلاق ومنشـأها منـذ بدايـة

الخليقــة.....

«علمـت شـعبي معنـى الإسـلام و التسـامح ونبـذ العصبيـة وحـب العمـل و الإتقـان»

هكـذا قـال مهاتـير محمـد (رئيـس وزراء ماليزيـا السـابق) عندمـا سـئل عـن سر تقـدم ماليزيـا ، فقـد أسـس لهـم منظومـة تعليميـة راقيـة وقويـة لتعلمهـم معنـى الأخـلاق والقيـم والانتـماء والـذي قفـز بهـم نحـو التقـدم واللحـاق بمصـاف الـدول المتقدمـة.

الشـعب الماليـزي يشـهد لـه كل مـن زار هـذا البلـد بأنـه شـعب هـادئ ومنظـم ويحـترم الآخـر، وبالرغـم مـن تعـدد الأطيـاف والأديـان في هـذا البلـد إلا أنـه تسـوده روح التكاتـف والتعـاون والتكيـف لا الاختـلاف والفرقـة .

ففـي ماليزيـا يقولـون : (اختـلاف أصولنـا وعقائدنـا واحترامنـا لبعضنـا هـو سر تطـور بلادنـا)، ورغـم أن الأغلبيـة العظمـى في ماليزيـا مـن المسـلمين بيـد أن الإسـلام في ماليزيـا هـو ديـن حضـارة وتسـامح وتطبيـق وليـس ديـن ظاهـري وإرهـاب وتضليـل.

لقـد أصبحـت ماليزيـا الآن تضاهـي أكـبر الـدول الصناعيـة تقدمـاً ، فمعدل نموهـا الاقتصـادي يفـوق ٤٪ ، ويبلـغ الناتـج الداخـلي الخـام للفـرد الواحـد بهـا ٣٤٠٠ دولار ، وبذلـك فهـي تحتـل المرتبـة الثالثـة في قـارة آسـيا بعـد سـنغافورة وبرونـاي .

ومـن هـذا نسـتخلص أن الديـن وروحـه خـير معـين عـلى التقـدم والتطـور وليـس العكـس إذا طبقـت مبادئـه الصحيحـة.

الدين والأخلاق

«إن الرسالات السماوية تعمل من الداخل إلى الخارج، والعالم يعمل من الخارج إلى الداخل . والعالم يخرج الناس من الرذائل ، والرسالات السماوية تخرج الرذائل من الناس ، وبعد ذلك يخرجون هم أنفسهم من الرذائل .

والعالم يشكل الرجال بتغيير بيئتهم ، والرسالات السماوية تغير الرجال والذين يغيرون بيئتهم بعد ذلك، ويشكل العالم سلوك الناس، ولكن الرسالات السماوية تغير طبيعة البشر» .

عزرا تافت بنسون

obeikan.com

والآن دعونا نطرح السؤال من جديد....إذا كانت الأخلاق هي السبب وراء قيام حضارة ... فهل هذا يكفي دون النظر إلى الدين ؟
إجابة هذا السؤال تتوقف على إجابة هذين السؤالين أولاً...

- **كم ستدوم حضارة قائمة على أخلاق بلا دين ؟**
- **هل فهمنا ديننا نحن المسلمون كما أنزله الله تعالى وطبقنا تعاليمه؟**

إن التمسك بالأخلاق الفاضلة يقودنا لصناعة حضارة بلا شك، حتى وإن لم تقم هذه الأخلاق على أساس الدين وهذه حقيقة لأن الله تعالى قد وضع قانون واحد وعادل للكون كله، ألا وهو قانون الأخذ بالأسباب .

ولذا قال **ابن القيم** : (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة)

« ويقودنا ذلك إلى حقيقة أن من يأخذ بأسباب الدنيا يتملكها ولو لم يكن مؤمناً بالله، وقد قيل: الدنيا تصلح بالكفر والعدل، ولا تصلح بالظلم والإيمان. فالله تعالى عدل يعطي الدنيا لمن يأخذ بأسبابها مؤمن كان أو غير مؤمن، ولا يعطي الآخرة إلا للمؤمن المستقيم فقط.

الشيخ محمد راتب النابلسي

obeikan.com

ولكن ...
السؤال هنا ...

• **كم سيكون عمر هذه الحضارة ؟ وكم ستدوم؟**

إن الأخلاق لابد لها أن تقوم على أساس، فإن لم تقم على أساس الدين فعلى ماذا تقوم إذاً ؟

إن حضارة عظمى كحضارة أوروبا الآن عانت في العصور الوسطى من الظلم والاضطهاد والجهل والفساد الأخلاقي حتى عرفت هذه العصور بالعصور المظلمة ، ثم قامت الثورة الفرنسية التي قلبت موازين أوروبا ، ففصلت الدين عن الدنيا والعلم ، فالكنيسة آنذاك كانت تشكل عائقاً أمام أي تقدم ، وكانت تتدخل في كافة الشئون، فكانت ترفض أي جديد، وتحارب أي فكر، فقد كانت تنبذ العلم وتحرق العلماء.

والأمر الآخر أنها قامت بثورة صناعية كبرى ، ومن خلال هذه الثورة تعلمت أوروبا قيماً وأخلاقيات جديدة نبذت من خلالها أخلاقيات الظلم والفساد القديمة التي قادتهم إلى الجهل والتخلف ، وقامت هذه الأخلاق الجديدة على كل ما يدفعهم إلى النجاح والتقدم ، ولذلك فقد قادتهم عقولهم إلى أن الرقي والتقدم يساوي أخلاقاً راقية ، ولذا فهي أخلاقيات نفعية بالدرجة الأولى أو ما يمكن أن نسميه الآن بأخلاق المصالح .

أما حضارة كأمريكا وروسيا وغيرها فقد بدأت مما انتهى إليه الآخرون، وقامت على نفس المبادئ ونفس الأفكار ونفس لغة المصالح التي تقود للنجاح .

obeikan.com

ولكـن العيـب في هـذا النـوع مـن الأخـلاق أنـه يظهـر الوجـه الحسـن حيـث المنفعـة ، بينـما يـبرز الوجـه القبيـح عنـد تعـارض المصالـح مـع الأخـلاق ، فهـي ليسـت أخلاقيـات حقيقيـة نابعـة مـن الإيمـان بالقيـم العليـا، ولكنهـا أخلاقيـات نفعيـة تمـارس بقـدر مـا تجلبـه مـن منافـع ، ولكنهـا تتهـاوى مـع تعـارض المصلحـة.

وهـذه الصـورة القبيحـة التـي تظهرهـا السياسـات العليـا مـع الـدول الأدنى في المسـتوى مثلـما حـدث في العـراق أو في أفغانسـتان أو في فلسـطين، فعنـد هـذا الحـد تـزدوج القيـم والمبـادئ ليظهـر وجـه الأسـد الحقيقـي متجـرداً مـن أيـة أخلاقيـات نزيهـة مـع تقديـم مـبررات واهيـة تبيـح لصاحبهـا الظلـم والطغيـان .

ولأن حضارة كهذه تقوم على أساسٍ هش فاحتمال انهيارها في أي وقت يكون كبيراً .

وهـذا أيضـاً يقودنـا إلى سـؤال آخـر وهـو ... أليـس هـذا الانهيـار هـو أيضـاً مـا أصـاب أمتنـا بالرغـم مـن وجـود الديـن والعقيـدة ؟ سـؤال كهـذا هـو نفسـه الدليـل والتقريـر عـلى مـا نريـد إثباتـه ، حيـث لا تقـوم أمـة أبـداً تخلـت عـن القيـم والأخـلاق والمثـل العليـا حتـى ولـو كانـت أمـة الإسـلام نفسـها.

على أن إجابة هذا السؤال أيضاً تتضمن الإجابة على السؤال المتقدم

- **هـل فهمنـا نحـن المسـلمين الديـن الـذي ندين بـه كـما أنزلـه اللـه تعـالى وطبقنـا تعاليمـه حتـى نسـتحق أن نصبـح في الصـدارة ؟**

إن سـبب تخلفنـا وتراجعنـا هـو تخلينـا عـن قيمنـا ومبادئنـا، وسـبب

تحللنا من قيمنا وأخلاقنا هو أننا فقدنا الروح التي كانت تحي فينا هذه الفضائل ، فجعلنا نفقدها قيمة وراء قيمة وفضيلة وراء فضيلة. وإن ظل في جعبتنا بعض الفضائل التي أضحت عادات وأعراف إما باسم الدين أو بقايا للفطرة الإنسانية. والدليل على ذلك أننا نتمسك بالمظهر دون الجوهر، والمسائل المثارة والتي تشغل بال المسلمين الآن هي المسائل الشكلية دون المضمون .فانحصرت كل هموم المسلمين في مثارات الخلاف بين الفقهاء .تركنا أصل وجوهر الدين وتعلقنا بالفروع . أما الحديث عن فضائل وأخلاقيات الدين فإن أثيرت فالحديث عنها يوحي بأنها مظاهر جمالية وليست عبادات يعاقب تاركها .

إن ديننا الحنيف لم يترك صغيرة أو كبيرة تقوم عليها الحياة إلا وتحدث عنها ووفَّاها حقها ،ولكن أرأيت كمّ الآيات في القرآن الكريم ، وكمّ الأحاديث الشريفة التي تحدثت واستفاضت عن الأخلاق والفضائل بالنسبة للحديث عن المظهر والمسائل الشكلية ؟.

• فإذا كنا نرتضي دين الإسلام عقيدةً لنا، فلماذا لا نزن الأمور بموازين هذا الدين ؟.

إن الدين هو القوة التي تحكم قبضتها على هذه الأخلاق، وبما أن الدين هو عقيدة وإيمان ، فنحن مازلنا نتمسك بالعقيدة نقاتل دونها ، ولكن الإيمان هو ما أخذ يتسرب من قلوبنا شيءاً فشيءاً ، ولأن الإيمان هو روح الفضيلة والأخلاق ، فقد أخذت الفضيلة تتسرب من سلوكياتنا شيءاً فشيءاً .
ولذا فهناك علاقة طردية بين الإيمان والأخلاق في ديننا .

فالإيمان كما قال النبي ﷺ الكريم صلي الله عليه وسلم :
«ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل». البخاري مرفوعاً عن أنس.

وقد قال **ابن القيم** :(الإيمان هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان).
وتداع الأخلاق أيضاً دليل على ضعف الإيمان فقد قال النبي ﷺ عن ابن عمر :
« الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر».الحاكم على شرط الشيخين
وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ ،قال:
« والله لا يؤمن ،والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل : من يا رسول الله ﷺ ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه ».متفق عليه
وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :
« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».
متفق عليه

فالمشكلة هي أننا أصبحنا مسلمين إسماً فقط دون مضمون الإسلام الحقيقي ، وانقسمنا إما مسلمون بالمظهر فقط دون الجوهر، وإما مسلمون بلا مظهر ولا جوهر.
إننا في الوقت الذي تحللنا فيه من أخلاقنا وقيمنا وتعاملنا معها على أنها مظاهر كمالية جمالية لا عبادات يحاسب عليها الشرع ، اعتبرها الغرب قوانيناً وقواعداً يعاقب كل من يخالفها باسم القانون.

ولذلك فقد أخطأنا عندما اعتبرنا هذه الأخلاق بأنها كماليات

obeikan.com

تتغنى بها الشعوب المرفهة فقط أما نحن فلا نستحقها ، فهذا تبرير مخادع لتخلينا عن هذه المبادئ والقيم ، أو قل عذر أقبح من ذنب لن يعفينا من حساب الله لنا لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولذلك فنحن نحتاج لمراجعة أنفسنا وتربيتها من جديد .

ولكن...إن كان ما يحدث في أمتنا الآن من تراجع يجعل حجة ادعاء أن التقدم لن يتسنى لنا إلا إذا فصلنا الدين عن الدنيا مثلما فعل الغرب وطبقنا أخلاقياتهم وكفى مازالت قائمة فلنجري هذه المقارنة لنزيح بها عن أنفسنا الشكوك . ثم نأتي بالدليل القاطع على زيف هذه المقولة

• الفرق بين تطبيق الأخلاقيات مجردة من الدين .... وتطبيقها على أساس الدين ؟

إن الدين والإيمان يوجد سبباً أقوى وأرقى لفكرة التمسك بالأخلاق وهو الربط بينها وبين رضا الله تعالى أو سخطه ، ويربط بينها وبين فكرة الثواب والعقاب ، ولذلك فالدين يرسخ جذور الأخلاق الفاضلة في النفس .
الأخلاق النابعة من الدين تتمثل في أرقى صورها وأرفع مستوياتها عندما يتمكن الإيمان من القلب ، حتى أن هذا الإيمان قد يدخل بها دروب الخيال ويصنع المعجزات لأنها ستصبح آنذاك تعامل مع الخالق مباشرةً وليس تعامل مع البشر .

أخلاق الدين والإيمان متجردة من أي هوى ، وهذا ما يجعلها مثالية وكاملة ، بينما الأخلاق المتجردة من الدين في أحيان كثيرة تكون

متحيـزة لتغليـب المصالـح .

أخـلاق الديـن شـاملة ، فهـي ارتقـاء بـكل نواحـي الحيـاة ،بينـما الأخـلاق المتجـردة مـن الديـن ترتقـي بجوانـب وتتجاهـل جوانـب أخـرى .

الأخـلاق المتجـردة مـن الديـن يسـيطر عليهـا الجانـب المـادي أكـثر ، بينـما أخـلاق الديـن يسـيطر عليهـا الجانـب الروحـاني .

إن أخـلاق وقيـم الديـن ليسـت كماليـات جماليـة ، ولكنهـا ثوابـت في العقيـدة بصلاحهـا تصح العقيـدة ، وبفسـادها تفسـد العقيـدة ،وهنـا يكمـن الفـرق بـين المطالبـة بسـلوك مـا عـلى أنـه خلـقٌ عـام، وبـين التكليـف بـه عـلى أنـه ديـن كسـائر العبـادات المفروضـة في هـذا الديـن. وأخـيراً... بـل وأهـم نقطـة هـو أن أخـلاق الديـن يكـون الباعـث عليهـا الضمـير الحـي في قلـب الإنسـان المؤمـن المتمثـل في مراقبـة اللـه تعـالى والخـوف منـه فيكـون بمثابـة دافـع داخـلي لـه فـلا يحتـاج لمـن يراقبـه أو يفـرض عليـه قانـون مـن الخـارج للامتثـال للأخلاقيـات والمبـادئ المثـلى، بينـما أخـلاق غـير قائمـة عـلى الديـن فتحتـاج لدوافـع خارجيـة تلـزم عـلى تطبيقهـا كالقانـون مثـلاً أو دافـع المنفعـة أو غـير ذلـك مـن العوامـل الخارجيـة .

• ولكـن هـل معنـى ذلـك أن كل الأخـلاق القائمـة عـلى أسـاس غـير دينـي هـي أخـلاق نفعيـة ؟

طبعـاً لا... .. وذلـك مـن رحمـة اللـه بالبـشر ، فهنـاك مـن ليسـوا عـلى ديـنٍ أصـلاً وبالرغـم مـن ذلـك فهـم يتحلـون بالأخـلاق الكريمـة ،فهـؤلاء

استجابوا لنداء الفطرة ، وخلقوا لأنفسهم نوع من التوازن النفسي بدافع من الضمير الإنساني .

والخلاصة

إن أي نفس خلقها الله خلق فيها الفطرة التي تبحث وتسعى لتحقيق الكمال الإنساني، وزرع فيها حب الفضائل والقيم السامية بغض النظر عن الدين أو الجنسية أو اللغة أو لون البشرة، فلا تجد أحداً يحب الكذب لذاته وإن كان يكذب، ولا أحد يحب الخيانة لذاتها وإن كان يخون ، وذلك لأن الله سبحانه ركب في النفس حب الخير ومقت الشر وخلق فيها الدوافع الداعمة لذلك وهي الرغبة في :

تحقيق الكمال..

احترام وتقدير الذات ..

اكتساب احترام الآخرين وحب الناس وتقديرهم ..

تحقيق الطمأنينة والسلام النفسي .

ولذلك تجد أن كل من يخالف هذه الفطرة يعاني من الاضطراب والقلق والتوتر ويعيش نوع من الفصام النفسي مع ذاته سواء كان متديناً أم لا.

فإذا لبى المرء نداء الفطرة والإيمان معاً تحققت أقصى درجات التوافق والسلام النفسي لأنه بذلك يحلق في عالم رائع فوق مستوى البشرية، فهو بذلك لا يلبي نداء الفطرة فحسب ،بل إنه يلبى النداء الأعلى والدافع الأسمى وهو رضا الخالق و ينتظر الجزاء والمكافأة الأعلى في الآخرة فضلاً عن المكافأة في الدنيا.

قال تعالى: (**من عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبة ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون**)النحل ٩٧ أما تلبية نداء الفطرة فقط فجزاؤه في الدنيا السلام والطمأنينة مع النفس ومع الكون ولكن ما له في الآخرة من خلاق.

تعالوا نرى ماذا لو طبقنا القيم والأخلاق وتمسكنا بها على أساس الدين ، أو بمعنى آخر ماذا لو طبقنا دين الإسلام كما أنزله الله تعالى .والتزمنا بتعاليمه وتجنبنا نواهيه ...ماذا سيحدث ؟

إذا كان السؤال يقتضي الإجابة في المستقبل بيد أن الجواب سيكون من الماضي حيث سادت أمة من أعظم الأمم أكثر من ثمانية قرون وهي أمة الإسلام ، حيث قدمت للعالم كله أكبر مثال على التقدم والرقي والحضارة في كافة المجالات من طب وعمارة وفنون وأدب وغير ذلك الكثير مما كانت لها الريادة فيه في الوقت الذي كانت تعيش فيه أوروبا فيما يسمى بالعصور المظلمة ، وما توصل إليه الغرب الآن من علم وتقدم هو في الأساس نتيجة تأثرهم بالحضارة الإسلامية في جميع المجالات ، ويشهد على ذلك ابن سينا والإدريسى وابن خلدون والكثير من علماء المسلمين الذين كان لعلمهم ومؤلفاتهم الفضل في تأسيس الحضارة الأوروبية .

لقد كانت الأمة الإسلامية في عصورها الأولى تجسيداً حياً لكل الأخلاق والقيم التي دعا لها الإسلام ،وذلك لفهمهم العميق بأن الأخلاقيات والقيم لا تنفصل عن العقيدة أبداً، إنما هي جزء منها ، وقد كانوا يتعاملون معها من خلال منطق أنها ليست مجرد أخلاق فاضلة يثاب فاعلها ، ولكن على أنها عبادات مثلها مثل الصلاة

والصيام والعبادات الشعائرية الأخرى ،بيد أنها تشمل مجالات الحياة كلها ، ويؤمنون بأن أي نقص فيها ، هو انتقاص من العقيدة نفسها وخلل في الإيمان .فقد كان المسلمون الأوائل تطبيقاً حياً لدين الإسلام الحق.

إن الحضارة التي وصل لها المسلمون آنذاك وارتفعت بهم إلى قمة الحضارات كان الفضل فيها يرجع لتمسكهم بالقيم والأخلاق التي دعا لها الإسلام ، فعندما طبقوها كما أنزل الله تحقق فيهم عدل الله تعالى وأقيمت دولة الإسلام ، وما تراجعت هذه الحضارة إلا عندما تراجعت هذه الأخلاق.
لقد كان لنا السبق في هذا المضمار نحن المسلمون بحضارة لم يكن لها مثيل حتى الآن حين ضرب المسلمون أروع الأمثلة على الرقي في المعاملات والتمسك بالفضائل والأخلاق التي بلغت قمتها وذلك لربطها بأسمى الغايات ، وهي التقرب إلى الله وإرضاؤه وطلب المثوبة منه وتجنب سخطه ، ولم تتراجع هذه الحضارة إلا عندما تهاون المسلمون بهذه الأخلاق ، وتناسوا هذه الغاية.

ولنستعرض قطرة من بحر المشاهد الأخلاقية التي كانت هي الأصل في تعاملات المسلمين في العهد الأول:

هكذا كانت أخلاقهم !!

حين فتح أبو عبيدة بن الجراح بلاد الشام ، واشترط أهلها عليه أن يحميهم من الروم مقابل دفع الجزية ، ثم جهز هرقل جيشاً ضخماً لاسترداد بلاد الشام من المسلمين ، رد أبو عبيدة الجزية لأهل الشام وقال لهم : لقد اشترطتم علينا أن نمنعكم وقد سمعتم بما يجهز لنا ، وإنا لا نقدر على ذلك (أي على حمايتكم من الروم) ونحن لكم على الشرط إن نصرنا الله عليهم .

وقد أدب عمر بن الخطاب ابن عمرو بن العاص لأنه ضرب الشاب القبطي الذي فاز عليه في السباق ، وقال لعمرو : يا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

وسُرقت من علي درع فوجدها عند يهودي فقاضاه إلى قاضيه شريح .. ولي يومئذٍ هو أمير المؤمنين ، فنادى شريح أمير المؤمنين بكنيته : يا أبا الحسن ! ولم يُكن الرجل اليهودي ، فغضب علي ، وقال للقاضي : إما أن تُكني الخصمين معاً ، أو تدع تكنيتهما معاً ..

ثم سأل شريح علي عن قضيته : فقال : الدرع درعي ، ولم أهب ولم أبع .

فسأل شريح اليهودي : ماذا تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟فرد متلاعباً : الدرع درعي ، وأمير المؤمنين عندي ليس بكاذب !

فقال شريح لأمير المؤمنين : يا أمير المؤمنين ، هل من بينة ؟!

قال : صدق شريح ! مالي من بينة

فحكم شريح بالدرع لليهودي .

فأخذ الرجل الدرع ومضى وهو لا يكاد يصدق !
ثم عاد بعد خطوات ليقول:
أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه فيقضي عليه ؟!
إن هذه أخلاق أنبياء !
أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً النبي ﷺ !
الـدرع درعـك يـا أمـير المؤمنـين ، خرجـت مـن بعـيرك الأورق فاتبعتهـا فأخذتهـا ..
فيقول علي : أما إذ أسلمت فهي لك !!

والفطـرة كل مـن يخالـف أخـلاق الإسـلام آنـذاك يصبـح غريبـاً منبـوذا لا مـكان لـه في مجتمـع الإيمـان إلى أن يرجـع. وعـلى هكـذا أخـلاق قامـت عليهـا حضـارة عظيمـة هـي حضـارة الإسـلام.

obeikan.com

الأخلاق
فطرة ..وعقل..وبصيرة

لقد كرم الله الإنسان وفضله على سائر مخلوقاته ، فقد أعطى له مزية الاختيار بعد أن سخر له الكون، وأضاء له الطريق وعلَّمه كيف يختار دون قسر أو إجبار ، وألهمه الطريقين طريق الخير وطريق الشر ، فمن سار على طريق الخير أفلح ونجا ، ومن سلك طريق الشر فقد ضل وهلك ،وقد وضع الله في طريقه الإشارات المضيئة التي إذا تبعها تحققت له السعادة في الدنيا والآخرة ،أما إذا تغافل عنها وتجاهلها فقد اختار أن يسير في متاهات لا نهاية لها وانتظار جزاء اختياره في الآخرة . ولقد جعل الله تلك الإشارات منها ما أودعه الله تعالى فينا بالفطرة ، ومنها ما كان دافعاً ومحفزاً لنا من الخارج عن طريق الرسل والأنبياء والمصلحين ، ثم وهبنا العقل الذي يقرن بين الإشارات ، ويوازن بين الداخل والخارج ثم يقوم بتشكيل الإنسان الذي نحن عليه .وبلمحة سريعة نستعرض تلك الإشارات :

الفطرة :

الفطرة هي أكبر دليل على نقاء الإنسان الأصيل فينا ،فلقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بفطرته يحب ويميل إلى الخير ، ويبغض وينفر من الشر فكانت هذه هداية الله الأولى له، فأما ما طرأ عليه بعد ذلك من تغيير للطباع والسلوكيات فهو نتيجة لعوامل أخرى كالتربية والبيئة والظروف المحيطة ، والاحتكاك بالآخرين ومسايرة

الأقران وغيره...،والفطرة هي التي تجعل الإنسان طالما كان في صراع دائم واختبار صارم للاختيار بين الحق والباطل .وهي أيضاً التي غالباً ما ترده كلما انجرف مع الهوى في صورة الضمير، ولذا فالخير فيه أصيل، والشر عليه دخيل .

قال تعالى : { **وهديناه النجدين** }البلد ١٠. أي الطريقين الخير. والشر.

وقال تعالى أيضاً(**فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**) سورة الروم : ٣٠ .:

وفي قول النبي ﷺ عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن قال: « **كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه**» . رواه البخاري

العقل :

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون الشاسع الأرجاء المتنوع المخلوقات وحث الإنسان على التأمل والتفكر في خلقه فالكون هو أكبر معلم ، بل هو المعلم الصامت الحكيم، فالطبيعة الرائعة التي خلقها الله تعالى تكاد أن تنطق بكل ما هو جميل ورائع، علّك تدرك سر الخلق والوجود ، وتعي ما خلقك الله من أجله ،فالطبيعة التي خلقها الله تعالى متناغمة ومتناسقة مع بعضها البعض ، ولأن الإنسان جزء من هذه الطبيعة ومخلوق من مخلوقاتها فلن يستطيع أن يتناغم معها إلا إذا عاش بقوانينها المسالمة النقية ، فإن هادنها فاضت عليه بروعتها ، وإن خالفها تمردت عليه وأردته أشد العقاب .

ورسائل الطبيعة لمن يعي ويتفكر تحيط بالإنسان في كل

obeikan.com

مـكان ، ومـا عليـك إلا أن تسـتقبلها وتسـتقرئ مـا فيهـا مـن معـانٍ وكلـمات .

قـال تعـالى :{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} آل عمران:١٩٠.
{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} الأعـراف:١٨٥.

فمثـلاً الجبـال توحـي إليـك بالشـموخ والصمـود والاسـتقرار فتتعلـم منهـا الصـبر والجلـد ،الأنهـار ... الهـدوء والسـكينة التـي يمكـن أن تتعلـم منهـا الحلـم والأنـاة ، البحر...التأمـل والتفكـر ،النبـات والخـضرة.. الصفـاء والنقـاء الـذي يوحـي إليـك بالتسـامح والعفـو.

وفي عـالم الحيـوان تجـد مـا يلهمـك ...فتتعلـم مـن الخيـل العـزة والإبـاء ، فمـن يتعامـل مـع الخيـل يكتسـب أخـلاق الفروسـية والنبـل . الكلاب وقصص الصدق والوفاء مع أصحابها التي تفوق الخيال ،
والنمل أصغر كائن تراه الأعين المجردة مضرب المثل في الصبر والمثابرة ،
والنحل الذي هو منظومة متكاملة من العمل والنظام والإتقان ،
الأسد ...والشجاعة ، الثعلب ....والمكر والدهاء.

ثـم فهـم القدمـاء المصريـون هـذه الإشـارات، فأشـاروا لهـذه المعـاني في رسـمهم ونحتهـم، فاسـتخدموا الصقـر مثـلاً رمـزاً للملـك، والحيـة في تيجانهـم رمـزاً للقـوة، وأيضـاً حضـارة اليونـان واسـتخدام الطبيعـة والحيوانـات كرمـوز لأشـياء معنويـة كالبومـة مثـلاً التـي كانـت ترمـز عندهـم للحكمـة.

البصيرة:

وإن كان البصر هو رؤية العين ، فالبصيرة هي رؤية القلب والتي تمثلت في بعث الأنبياء والرسل بالرسالات السماوية لهداية البشر ودعوتهم للفضائل والأخلاق الحميدة ولينهاهم عن قبيح الأفعال والخصال .،ثم أنهم كانوا هم القدوة المجسدة لهذه الأخلاق حتى بعث النبي ﷺ بالرسالة الخاتمة ليتمم هذه الأخلاق .

فقد قال النبي ﷺ : « **إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي،كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل النَّاس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قَالَ: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين** ﷺ ». البخاري

ومعنى موضع اللبنة هنا ليس الموضع الكمي أو المكاني الذي يكمل به العدد الناقص ،ولكن المعنى المقصود هنا هو الكيف وليس الكم حيث المعنى العميق للوصف وليس المعنى السطحي، فالمقصود المعنوي لموضع اللبنة هنا يحمل معنى رائع في طياته، حيث أن الله أرسل الرسل والأنبياء بكل الأخلاق والقيم الحميدة التي لا يختلف عليها اثنان، وبذلك فقد أكمل وأجمل البناء فأصبح من الحسن والجمال بحيث يتعجب الناس من جماله وإتقانه وإبداعه ، غير أنه مازال هناك ثغرة في البناء ،ألا وهي تحقيق معنى وحدانية الله عز وجل في الوجود كله ، من خلال النبي ﷺ ،....
فكون واحد ... له نبيٌّ واحد ... يدعو إلى ربٍ واحد وكتابٍ واحد... ومنهج واحد ..الذي لن يتسنى الوصول إليه إلا من خلال طريق واحد ألا وهو..... طريق الفضيلة.

ولقد جاء كل نبي لقومٍ بعينهم يعلمهم ويهديهم للخير،بينما النبي ﷺ محمد أرسل للناس كافة .ولقد أدخل على كل كتاب ما أدخل ، وحرف منه ما حرف ، إلا الكتاب الذي أنزل على النبي ﷺ فقد تعهد الله بحفظه إلى يوم القيامة.

وقال تعالي { **وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين** }الأنبياء
فجاء ومعه الهدي والحكمة والرحمة لكل البشر ، ولكل زمان ، ولكل مكان .
جاء الإسلام ليدعو إلى مكارم الأخلاق والتأكيد على مكانة حسن الخلق في الإسلام وإبراز معالم الفضيلة وإحيائها في القلوب ولذا قال النبي ﷺ : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** ».أحمد

هذه المقولة التي جاء بها النبي ﷺ ليحقق خير البشرية كلها، ويبين بها أن غاية الإسلام بعد توحيد الله تعالى هي تحقيق وإتمام مكارم الأخلاق ،وهذا ما سنوضحه في هذا الكتاب إن شاء الله...

(ليس للإنسان علم غريزي بالخير ولكن حالما يكشفه عقله، ويدفعه ضميره إلى محبته...لقد تخلصنا من كل هذه الأداة الفلسفية الهائلة ،إننا نستطيع أن نكون بشرا من غير أن نكون علماء لقد أعفينا من هدر أيام حياتنا في درس الأخلاق لأن لنا دليل هادي يهدينا مجانا لكن لا يكفي أن يكون لنا دليلا بل علينا أن نعرفه ونتبعه).
جان جاك روسو

البُشرى ...إننا الأقدر

بالرغم من كل هذا الظلام ، وكل هذا الغمام الذي يغطي سماء أمتنا، ويبعث في النفس الألم والحسرة إلا أنني أقود لكم تلك البشرى ... وهي أننا مازلنا نحن الأقدر على صنع حضارة ، بل حضارة تفوق كل هذه الحضارات ،ولقد أثبت التاريخ ذلك ، وسيثبت المستقبل ذلك أيضاً عما قريب إن شاء الله ، فإذا كانت الأخلاق وحدها قادرة على صنع حضارة ، فالأخلاق التي يقودها الإيمان قادرة على صنع حضارة تفوق كل الحضارات العظمى ،نحن الأقدر لأننا نمتلك من الرصيد الأخلاقي أضعاف ما يملكونه ، فقط كل ما نحتاجه هو غربلة ذلك الكنز الأخلاقي الرباني وتطبيقه على أرض الواقع وتوثيق عراه بالإيمان ، وسنذهل العالم كله بالنتائج إن شاء الله .

فالدين عندنا لا يعارض الدنيا بل ينظم حركتنا في الحياة، ولا يعارض العلم بل إن العلم في ديننا فريضة بيد أنه يقوِّم أخلاق العلم والعلماء.

إننا نحتاج فقط لروح الإيمان التي تبعث الحياة إلى النفوس من جديد ، وتحي فينا الأخلاقيات والقيم التي هي جوهر الدين ، نحتاج إلى الإيمان الذي يذلل عقبات الطريق ، ويفجر طاقات الإبداع ،ويدفع الهمم إلى العمل.

البشرى أن أخلاقنا هي أخلاق قائمة على الدين، وأخلاق الدين قانون صارم في قلب كل مسلم ،ومحاكمات هذا القانون أشد ضراوة من أى محاكمة من الخارج . إن الدين لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا شملها ووضع لها قوانين ومنهج ، فلن تجد ثغرة إلا ويقابلها قانون إيماني يهذبها وينظمها.

وصدق النبي ﷺ الكريم حين قال: « **لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها**». البخاري وأحمد

إن ما يحدث الآن هو غمامة وستنقضي و ستزول بإذن الله تعالى ، فمازلنا موجودين لم نلفظ أنفاسنا الأخيرة بعد ولن نلفظها أبداً ، فما زالت الروح فينا تقاوم لتحيا من جديد ،ولن نفتأ نبحث عن هويتنا الأصيلة التي نسترد بها كرامتنا وعزتنا ، وسنظهر للعالم كله بوجه جديد ،وبشكلٍ جديد ، وسيعود الإسلام شكلاً ومضموناً بل سيعود إسلاماً ومسلمين ، فهلم أيها المسلمون ،هلم لنرِي العالم أجمع الأخلاق الحقة ، والإسلام الحق الذي يقود لأعلى مستويات التقدم والرقي ،إن الإسلام سيعود وينتصر ويشع على العالم كله بنوره ، فلنجعل ذلك على أيدينا، ولنثبت أننا نستحق .

فحي على العمل ... وحي على النجاح ...وحي على الفلاح.

فلنجعل الهموم هماً واحدا

لـك أن تتخيـل غرفـة يشـترك فيهـا مجموعـة مـن الأفـراد ، لـكلٍ منهـم سريـر ودولاب ، وبالرغـم مـن ذلـك فـكلٍ منهـم يخلـع ملابسـه ليلقيهـا في أي مـكان في الغرفـة ، حتـى إذا عمـت الفـوضى المـكان كانـت الحجـة أنـا لسـت وحـدي في الغرفـة ...الآخـرون هـم مـن يحدثـون الفـوضى ، هـذا هـو بالضبـط حالنـا وهـو تجاهـل أخطاؤنـا والقاؤهـا عـلى الآخريـن.

أمـا آن الأوان لنـا أن ننضـج فنتحمـل المسـئولية، نحـن دائمـاً مـا نتكلـم عـن الإصـلاح ونتجاهـل المشـكلة الرئيسـية ، فكأننـا نريـد أن نقـوم بالبنـاء ونجملـه ونزينـه ونتجاهـل الـشرخ الكبـير الـذي يـكاد أن يهـوي بالبنـاء بأكملـه .

نحـن نعيـش فـترة حرجـة الآن ، بـل مـن أصعـب الفـترات التـي مـرت علينـا عـلى الإطـلاق ..... فنحـن نعيـش حالـة مـن التشـتت والارتبـاك والتشـويش تجعـل الهـدف المنشـود المنـال، نـال، ونهايـة الطريـق غـير واضحـة المعـالم.

ولقـد كـثر الـكلام وتعـددت الآراء حـول كيفيـة النهـوض ببلادنـا ولملمـة شـتاتها، فهنـاك مـن ينـادي بالنهـوض بالتعليـم ، وهنـاك مـن ينـادي بالإصـلاح الاقتصـادي، وآخـرون يتحدثـون عـن الإصـلاح السـياسي ،و...إلـخ.

الأفكار كثيرة وجميلة والتطلعات مشرقة ورائعة، وتنفس الحرية يزيد هذه الرؤى إشراقاً وبريقاً ، فنسيم الحرية يوقظ الإبداع ويستنهض الأمل .

إن التعليم ، الصناعة ، التجارة ، الزراعة ، الصحة .... إلى غير ذلك... كلها مجالات تحتاج للنهوض بها .

نعم ....صحيح فنحن أمة مستهلكة بل مدمرة تماماً ، تحتاج لإعادة هيكلة في كل شيء من جديد حتى تنهض

ولكن ..

المفاجأة ... إن كل ذلك لن يخلق حضارةً ولا تقدماً .... أتدرون لماذا؟

لأننا نحاول أن ننشئ صرحاً بلا أساسات ، ونبني بناءاً بلا أعمدة ، ولذلك فإن استطعنا أن نقيم البناء بالرغم من كل الظروف ، فإنه مع أول ريحٍ سيتهاوى ، والسبب في ذلك أنه سيكون أمام كل باني مئات يهدمون ،وأمام كل مصلح مئات يدمرون ، وأمام كل صانع مئات يخربون ، وأمام كل مبدع مئات يحبطون ،ومقابل كل طريق وشارع نظيف ستجد مئات يرمون القاذورات في كل مكان ،ستبنى المنشآت والمؤسسات ولن تجد العامل الأمين ، وداخل كل مؤسسة تبنى ستجد مئات يرتشون ويفسدون، وأمام كل قانون يوضع ستجد مئات ممن يتحايلون على القانون ، ....وخلاصة الأمر أنك ستفاجأ أنه كلما صنعنا شيءاً جميلاً سيكون هناك دائماً من يشوه صورة هذا الجمال ، وذلك لأننا مازلنا نجهل قيمة الجمال ...وما زلنا نؤمن بأننا لا نستحق هذا الجمال .

نحن نعاني أزمة حقيقة فعلاً إما لأننا غافلون عنها فعلاً وإما لأننا نتغافلها عن عمد ، إن أزمتنا الحقيقية هي أزمة انهيار الأساسات، إن أزمتنا الحقيقية هي أزمة أخلاق .

لقد قال النبي ﷺ في الحديث الشريف : « **إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » .متفق عليه

فإن كانت مضغة الجسد هي القلب فإن مضغة المجتمع هي الأخلاق ، فإذا صلحت الأخلاق صلح المجتمع كله، وإذا فسدت الأخلاق فسد المجتمع كله .

فإن استطعنا أن نحرر أنفسنا من عبودية الحكام والسلاطين، فالأولى أن نحرر أنفسنا من قيودها، قيود الغضب والشهوة والحقد والحسد والكراهية والأنانية والأثرة والغش والخيانة .....، نحتاج أن نحرر أنفسنا من قيود عبودية النفس وعبودية الأشياء وعبودية الأهواء ونخضع لعبودية واحدة فقط وهي عبودية الله الواحد الأحد، وعندما نستشعر حلاوة هذه العبودية، فإننا عندها فقط سنكون وصلنا لقمة الحرية.

نحن نحتاج الآن أن نجعل الهموم هماً واحداً ، ونوحد الدروب في دربا واحدا، ونركز الشتات على أمراً واحداً ألا وهو» صناعة الإنسان «ونجعل شعارنا في هذه المرحلة الخطيرة « هيا نبني أنفسنا أولاً «،ثم بعد ذلك ننطلق في كل الدروب ،ونوزع أنفسنا على كل الطرق دون خوف أو ريبة ومن ثم ننطلق لنبني ونعمر ونصنع ونزرع ونتقدم وننافس ونعقد العزم على أننا سنصل لقمة الهرم الحضاري في بناء الإنسان وبناء البنيان ونحن واثقي الخطى ومطمئنين.

إن النبي ﷺ بعد أن أقام أصحابه على كلمة التوحيد كان همه الأكبر بعد ذلك هو صياغة الإنسان ، وتأصيل القيم والفضائل بداخله وقد ظل النبي ﷺ يغرس هذه الفضائل ويتعهدها ويربطها برباط الإيمان ويشد عليها .

لقد كان هدف النبي ﷺ وهو بصدد إقامة دولة الإسلام هو ترسيخ جذور القيم والأخلاق وإعلاء القيم الروحية والإيمانية والخلقية في النفوس ، حتى نجح في صناعة قمم أخلاقية عظيمة كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهم من الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وقد كانت هذه المثل الحية بمثابة الأساسات القوية والمتينة لبناء دولة الإسلام بعد ذلك.

لقد كان تركيز النبي ﷺ في البداية أن يربي مجتمع القيم والأخلاق أولاً ، ويبني مجتمعاً وحدوياً متماسكاً ونقياً .
ولذلك فقد كان أول عمل قام به النبي ﷺ عندما قدم إلى المدينة التي كانت أول محضن للإسلام هو أن آخى بين المهاجرين والأنصار ،وكانت فترة حياته ودعوته بعد ذلك متركزة حول الشحن الروحي والإيماني والقيم الذي من خلاله انطلقت الفتوحات والانتصارات الإسلامية بعد ذلك التي رجت أرجاء الكون، ومن ثم بعدها انطلقت النهضة الإسلامية الشاملة من خلال هذه الكوادر الأخلاقية الأولى والتي استطاعت أن تنقل هذه الأخلاق العالية للمجتمع الإسلامي كله ، بل إنها تعدت المجتمع الإسلامي وأثرت بقيمها على مجتمعات أخرى كانت سبباً في تقدمها أيضاً كالمجتمع الأوروبي وشرق آسيا.

ازرع قيمة

إن هـذا بالضبـط مـا أرمـي إليـه وهـو خلـق مجتمـع قيمـي أولاً ثـم الاتجـاه نحـو العـمارة والبنـاء بعـد ذلـك أي بنـاء الإنسـان الـذي سـيبني أولاً ، وذلـك إنمـا سـيتأتى مـن خـلال مجهـود جماعـي ومجتمعـي شـامل .

إن مـا أطرحـه هـو مـشروع نهضـة ، أو هـو الأسـاس الـذي سـيقوم عليـه مـشروع النهضـة ، هـذا المـشروع هـو أن نتفـق عـلى هـدف قومـي يشـارك فيـه المجتمـع كلـه أفـراداً ومؤسسـات، هـذا الهـدف هـو نـشر الفضيلـة والقيـم والأخـلاق، والارتقـاء بأخلاقيـات المجتمـع وتنقيـة المجتمع نفسـه بنفسـه .

وسيكون شعار هذا المشروع (**إزرع قيمة**) .

أمـا ملامحـه فسـتكون بطـرح أفـكار إبداعيـة لكيفيـة نـشر الأخـلاق الفاضلـة في مجتمعاتنـا وذلـك مـن خـلال تسـخير كل أجهـزة الدولـة ومؤسسـاتها بجانـب عملهـا لـزرع القيـم المجتمعيـة ونـشر الفضيلة في المجتمـع كلـه ،وأيضـاً بمشـاركة المجهـودات الفرديـة .

ومـا سـأطرحه هـو مجـرد أمثلـة ، بينـما هـذا المـشروع يحتـاج لأفـكار إبداعيـة ، وتخيـلات ابتكاريـة كثـيرة لينمـو وينجـح ويتحقـق عـلى يديـه الخـير لبلادنـا إن شـاء اللـه .

obeikan.com

الدعاة :

ومن البديهي أن نبدأ بالدعاة والشيوخ وعلماء الدين ، حيث أنهم رموز الفضيلة في المجتمع ويتحملون العبء الأكبر في ذلك لما حباهم الله من علمٍ وفقه ، فيفترض أن يكون جل تركيزهم في هذه الفترة الحرجة على الجانب الأخلاقي ، وتوعية الناس بأهمية ومكانة مكارم الأخلاق التي دعا إليها الدين وأنها جزء لا يتجزأ منه لا يستقيم بدونه ، وأن الله لا يتقبل عبادة بدون أخلاق ، ولتنطلق الدعوة من خلال المساجد وخطب الجمعة ، و من خلال الإذاعة والتلفزيون والصحف ومواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت و غيرها.

المدارس :

وهي أحوج المؤسسات لتفعيل منهج الأخلاق والتركيز عليه ، وهي أكثر المؤسسات تهيئةً للإبداع في هذا المجال ، حيث البدء بتقويم أخلاقيات المعلم وتعليمه كيف يكون القدوة الحسنة ، فالمعلم له نصيب كبير في تشكيل شخصية النشء والتأثير عليه ، ومن الأفكار التي يمكن أن نزرع بها القيم في المدارس أن يجعل معلم الفصل شعار لكل أسبوع بطرح قيمة ما من خلال حكمة أو حديث أو مقولة مثل (الصدق منجاة) ، أو (الوقت من ذهب) أو (الحلم سيد الأخلاق) ثم يتعهد هذه القيمة طيلة الأسبوع بذكرها في بداية كل حصة ، وسؤال التلاميذ عن قصص واقعية أو خيالية تتضمن هذه القيمة ، ومن يأتي بأحسن قصة أو أحسن بحث عنها فإنه يكافأ مكافأة أو تضاف له درجات على ذلك ، ويتعهد مع التلاميذ التزام هذه القيمة طيلة الأسبوع ، وأيضاً يمكن خلق المنافسة بين الأطفال لتقديم أحسن ما عندهم من أخلاق فيمكن أن يطلب المدرس أن

يقدم كل تلميذ في فصله في نهاية كل أسبوع عمل خلقي قام به ، على أن يكافئ أفضل واحد أو أفضل اثنان قاما بذلك ،وبذلك يخلق بينهم المنافسة وحب القيم والأخلاق في آنٍ واحد ، وفي نفس الوقت نؤصل الأخلاق في أذهانهم وقلوبهم بالتطبيق العملي وتعليمهم أنه منهج حياة..

ويجب أن يحتوي جدول الحصص على حصص أخلاقية يعلم فيها الأطفال المبادئ والقيم والتدريب عليها ، وجعلهم جزء من منظومة زرع هذه الأخلاق بحثهم على ابتكار أفكار لزرع هذه القيم والمشاركة في نشرها إما بقصة ، وإما بشعار ، وإما بفكرة ، أو لوحة أو بحث وأيضاً يمكن أن تقام مسابقة بين المدارس حول أفضل سلوكيات وأخلاقيات أفرادها سواء من التلاميذ أو المدرسين أو الإداريين ، فقيمة مثل قيمة النظافة والنظام وأيضا التواضع استطاعت اليابان زرعها في أطفالهم عن طريق حثهم على تنظيف فصولهم كل يوم بأنفسهم قبل بدء كل يوم دراسي.

وفي دولة الإمارات حيث وضعت التربية الأخلاقية كمنهج يدرس في مناهج التعليم ليتعلم أبنائهم التسامح ولغة الحوار وقبول الآخر وغيرها من القيم السامية.

إن الاهتمام بالتربية الأخلاقية وزرعها في النشء الصغير منذ نعومة أظفارهم يجعلهم قادرين على مواجهة أي محاولات للزيغ بهم نحو الانحراف في ظل الانفتاح الشديد ، وموجات الأفكار الشرسة التي تأتيهم عبر وسائل الاتصالات الحديثة وتحمل بين طياتها كافة أنواع الرسائل ، والتي من العبث بل من درب المستحيل محاولة

منعها ، فبين أفكار التشدد والغلو والإرهاب ،وبين السلبية واللامبالاة والتيه في متاهات الانترنت سواء بالاستغراق في التفاهات أو الانجراف نحو المواقع الإباحية السافرة ، أو التعرض لأفكار غريبة وخطيرة تتقاذفهم هنا وهناك.

وليس الحل في ذلك الانغلاق والتضييق وتقييد الحريات ، ولكن على العكس الانفتاح على كل الثقافات مع بناء أرضية أخلاقية صلبة في نفوس النشأ والشباب من البداية تجعلهم يصدون أي محاولة للاعوجاج بهم عن الطريق المستقيم ،وهدم بناء الأمة عن طريقهم.

وقد كانت المقولة الحكيمة للمهاتما غاندي ذات مغزى بليغ حين قال : (يجب أن أفتح نوافذ بيتي لكي تهب عليه رياح كل الثقافات بشرط ألا تقتلعني من جذوري).

الإعلام :

وهو أقوى المؤسسات التي تساعد على نشر الفضيلة أو الرذيلة ،وهو أهم وأخطر الوسائل في تحقيق هدفنا المنشود فلما لا نسخر هذه الوسيلة لنشر القيم والأخلاقيات التي نفتقدها ،والتي نريدها في مجتمعنا ، و نجعل من ذلك منافسة وتحدي .

إن الناس ينصرفون لقنوات وبرامج معينة إما لما تحويه من عنصر التشويق والإثارة ، وإما لعدم وجود بديل جيد ، ولذلك نستطيع أن نحقق الهدف وهو نشر الفضيلة باستخدام هذان العنصران أيضاً .

فلنطرح العرض أولاً ، ونمد أيدينا لكل من يريد أن يشارك في هذا المشروع أو هذه الحملة « حملة القيم « سواءً كانت كيانات كقناة فضائية أو صحيفة أو مؤسسة إعلانات ، أو كانوا أفراداً ككتاب أو ممثلين أو صحفيين أو مخرجين أو غير ذلك .

نستطيع أن ننتج أفلاماً ومسلسلات تحمل قيماً وأخلاقيات لمن يشاهدها ، نستطيع أن نستخدم كل إعلان عن منتج ما يحمل بين طياته قيمة أو خلق يريد أن يوصله مع المنتج ، أو تخصيص إعلانات لزرع القيم في المجتمع ،ولقد كان الإعلام أحياناً يسخر لنشر أهداف معينة في السابق عن طريق حملات توعية وكانت تؤتي ثمارها كحملة تنظيم النسل أو مكافحة التدخين أو المخدرات ، فلماذا لا نستخدم حملات التوعية هذه في ترسيخ القيم في المجتمع .
وأيضاً ليس لأننا نريد أن ننشر فضيلة نقدمها في قالب جامد أو من خلال صور رتيبة ، ولكن من خلال أسلوب التشويق والجذب وابتكار الأفكار الإبداعية ، فالأولى أن نستخدم الإبداع في تقديم الفضيلة بدلاً من استخدامه في نشر الأشياء المبتذلة.

فيمكن أن نقدم فيلم إبداعي يقدم قيماً وسلوكيات جميلة دون التلويح بإثارة الغرائز، وينجح هذا الفيلم ويحقق أرباحاً عندما يستخدم الإبداع في خدمة الخير.

ويمكن أن ينجح برنامج تلفزيوني نجاحاً كبيراً من خلال تقديمة لنماذج أخلاقية ناجحة ،أو قائم على مواقف لأناس فضلوا مبادئهم عن أي مكاسب أخرى .

تستطيع برامج التوك شو مثلاً أن تحقق أكبر نسب للمشاهدة من دون أن تقوم على أنقاض علاقات متهدمة ، أو التفنن في خلق الفتن والتركيز على الشائعات أو السلبيات ، وذلك بعرض كل ما يقُوم المجتمع ويساعد على بنائه وعرض النماذج المشرقة والمشرفة الناجحة في الداخل والخارج .

وقد استطاع برنامج تلفزيونى مثل برنامج «خواطر « الذي يقدمه أحمد الشقيري أن ينجح ويحقق شهرة كبيرة على مر سنوات من خلال عرضه لأفكار مبتكرة كل عام كعرضه لقيم شعوب متقدمة ، ومقارنة سلبياتنا بإيجابياتهم ، فبرنامج كهذا مثلاً يجعل الماء الراكد يجري من جديد ، بل يجعل دماءً جديدة تجري في العروق.

واستطاعت جمعية خيرية كجمعية غراس أن تقوم بحملة إعلامية لنشر قيم الدين عن طريق كليبات إعلانية صغيرة لإيصال قيمة معينة كمساعدة الفقراء أو التعاون أو نبذ الإرهاب ، ثم بغد ذلك يأتي دور

مؤسسة القانون :

المتمثل في سن تشريعات وقواعد وقوانين صارمة تشمل جميع المخالفات الأخلاقية ،فالنفس بطبيعتها تميل للتفلت من القيود ،فإن لم يكن هناك ضوابط وقوانين تسن فسرعان ما تميل النفوس للمخالفة والتحرر من أي قيود ، فإن لم يكن الوازع الديني هو الرادع فهاهنا يأتي دور مؤسسة القانون ، وذلك مع التنبيه الشديد على أن هذه

القوانين ستطبق على كل فرد في المجتمع دون محاباة أو محسوبية من أول رئيس الجمهورية حتى أقل فرد في المجتمع ، وما تقدمت الدول الغربية إلا عندما طبقت مبدأ سيادة القانون، ونحتاج أيضاً قوانين شاملة لا تستثني شيءاً ، فمثلاً لا يوجد عندنا قانون يجرم إلقاء المخلفات في الطريق ، أو قانون يدين الكذب، أو قوانين تفرض على إهدار الوقت أو عدم الإتقان في العمل ، ولتفرض غرامات على كل من يخالف أو عقوبات مناسبة لكل مخالفة .

أما الشرطة :

فهي واجهة حضارية لأي مجتمع ، وأداة لتطبيق العدل واليد الصارمة لتطبيق وتنفيذ القانون ، فكيان جهاز الشرطة قائم على هدفين لا خلاف عليهما هما مساعدة الناس وخدمتهم ، وتطبيق القانون على المخالفين ، ولكن الجدال حول كيفية تطبيقهما ،ولذا فهي تحتاج أن تضرب مثلاً أعلى لحسن الخلق من خلال تطبيق منهج تعاملات جهاز الشرطة مع الناس ، فبدايةً يجب على الضباط والشرطيين إتقان ضبط النفس ، واستخدام الأسلوب المهذب والحازم في نفس الوقت حتى مع المخالفين للقانون، وليوضع في الاعتبار دائماً احترام آدمية الإنسان ، وفي نفس الوقت الحزم في تطبيق القانون دون محاباة والترفع عن أي رشاوي أو إغراءات ، والتواجد الدائم والسريع لملاحقة أي مخالفة .

ولقد لاحظت عندما ذهبت للمملكة العربية السعودية انتظام حركة المرور بالرغم من الزحام الشديد في الحج والعمرة ،والتزام الجميع بالقواعد المرورية ، ثم علمت أن سبب ذلك هو

التواجد السريع عند أي مخالفة مرورية كزيادة السرعة أو مخالفة الطريق أو الإشارات.

ففي ذات مرة استقللت أنا وزوجي الحافلة التي كانت تقطع الطريق من مكة إلى المدينة ، وكان السائق يسير على سرعة ٦٠ بالرغم من عدم وجود سيارات أمامه ، فاستغرب زوجي ذلك البطء فقال له: لماذا لا تسرع قليلاً والطريق خال .
فقال له : لا أستطيع ،فقد فعلتها مرة قبل ذلك ، وفي لمح البصر ظهرت سيارة شرطة لا أعلم من أين واستوقفتني وأخذت مني الرخصة وغرامة كبيرة ، فلا أستطيع أن أغامر بهذا مرة أخرى .ورقي جهاز الشرطة هو أول ما تستطيع أن تلمسه في أى دولة متحضرة .
كذلك نستطيع بث الأخلاق التي نريدها من خلال باقي مؤسسات الدولة كالمستشفيات و المصالح الحكومية والبنوك وغيرها ،فيجب أن تضع كل مؤسسة أو شركة أو مصلحة حكومية وثيقة أخلاقيات عمل تكون بمثابة قواعد ومبادئ يحاسب عليها ، توضع في يد كل فرد في المؤسسة أو كل موظف وتفعل تفعيلاً كاملاً ، وأقل ما يمكن عمله نشر الافتات التي تحث على القيم والأخلاق في كل مكان، وإقامة الندوات والمحاضرات بل والدورات التي تحث على أهميتها وضرورة التمسك بها .

وإن كان دور الحكومات والمؤسسات في هذا المضمار سيأخذ وقتاً لتفعيل هذه المنظومة الأخلاقية ، فهنا يأتي دورنا نحن الأفراد ، وهذه ستكون العجلة التي تحرك المجتمع كله ، أو الرياح التي ستحرك الماء الراكد ،فلنطرح العرض إذاً ومن ثم نبحث عمن يتبنى الفكرة .
وبداية الفكرة ستكون قائمة على النشر وليس الحظر ، أي العمل على

نشر القيم والأخلاقيات الغائبة عن المجتمع بقالحمل،تخدام كل وسيلة ممكنة ،وليس الهدف فرض الحظر على أخلاقاً معينة ، أو قنوات معينة تقدم الفساد ، أو المحاسبة من أي نوع ، فنشر الدعايات للقيم والمبادئ والتركيز عليها ، ستخلق تدريجياً بيئة جديدة ترفض كل ما هو مشين ، فالتكرار والترديد للمثل والتذكير الدائم بها يرسخها في الأذهان حتى تصبح هي الأصل ،ومن قبيل التركيز على شيء يجذب إليه الأشياء من نفس النوع فتتسع دائرة الخير شيءاً فشيءاً ، وتنزوي دائرة الشر والفساد حتى تصبح غريبة في المجتمع .

فمثلاً عندما يلقن طفل في البيت سلوكيات وأخلاقيات معينة، ثم يذهب إلى المدرسة فيدرس له نفس هذه السلوكيات ، ثم يسير في الشارع فيرى الافتات التي تحث عليها في كل مكان بالشارع ، وعندما يشاهد التلفاز يتعايش معها من خلال قصة فيلم أو مسلسل أو حتى من خلال الإعلانات ، فكيف بعد كل ذلك ولا تترسخ لديه القناعات باتباع هذه الأخلاقيات والسلوكيات وتصبح عقيدة بداخله ترفض أي كلمة أو سلوك غير ذلك ، كذلك ما سيكون عليه المجتمع كله .

فليطرح كل واحد ما عنده من أفكار ، وليتبنى كل واحد ما يستطيع من مشروعات للتنفيذ ، فهذه قيم أمة نبنيها من جديد ولذا فهي تحتاج لكل عقل ولكل يد ، ستحتاج لكل فرد في المجتمع صغيراً كان أو كبيراً ، غنياً أكان أو فقيراً ، ستحتاج لكل من يحب بلده ،ولكل من يحب أمته ، ولكل من يحب دينه ، ستحتاج للكل دون شروط إلا من شرط واحد فقط ألا وهو الإخلاص .

إن التحدي الأكبر الذي أمامنا الآن هو كيف نقنع كل فرد في المجتمع أن يرفع معنا تلكم الراية، ويحمل معنا ذلك الحمل ، بل كيف نشعره بأن كل فرد عليه جزء من المسئولية يجب أن يتحمله .

إن ما جعالله:تشر هو أن وجد رايةً له ترفع فالتف حولها الكثيرون، وصوتاً له يسمع فجذب إليه التائهين والشاردين، وفي المقابل أن تراخت دعاوى الخير ، وخفت صوتها فكان المآل إلى ذاك المصير الأليم اليوم ،ولذلك فإن ما نحتاج إليه الآن هو راية للخير ترفع ، وتوكل حقيقي على الله ثم يأتي بعد ذلك نصرالله تعالى و تثبيته .

وقد قال تعالي : { **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**}. محمد

نحتاج فقط لمن يخطو الخطوة الأولى وستتالخطوات،ا الخطوات ، ومن يرفع الراية التي ستستنهض الهمم .

ولأننا جالنبي ﷺ :مركب واحوبلادنا، جميعنا أن تصل هذه المركب لبر الأمان، ونرمي جميعنا إلى نفس المرمى وهو أن نعلو ونرتقي بأمتنا وبلادنا ، ولذلك سيتلاقى المخلصون على هذا الهدف وسيقدمون كل وسيلة لتحقيقه عند وعيهم بالطريق الموصل لذلك الهدف.

وستزيد الحماسة وتشعل الإرادة عندما تكون نية الإصلاح لله تعالى ، وانتظار المكافاة والثواب فقط منه ، فكل من سيشارك في هذه الحملة بنية خالصة لله تعالى فهو بذلك يبني جبالاً من الحسنات

دون أن يدري بكل من تبعه وسار على دربه وكانت مساهمته سبباً في هدايته إلى يوم الدين .

فقد قال النبي ﷺ : «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبِعه لا ينقص ذَلك من أجورهم شيءا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبِعه لا ينقص ذَلك من آثامهم شيئا**». حلمٌ سيتحقق

opeikan.com

حلمٌ سيتحقق
- إن شاء الله -

أتخيل بلادي التي أحب جميلة نظيفة، لا مكان فيها للعشوائيات أو المناطق المهملة، أدناها مثل أقصاها في النظام والنظافة، إذا تجولت في مدنها وضواحيها بهرتك أبراجها الشامخة ومبانيها الرائعة المعمار ولتعجب من ملامح التقدم والتكنولوجيا التي تحيط بك في كل مكان.

التعليم في بلادي على أعلى مستوى من التقنية وبأحدث الوسائل والأساليب التربوية ،لا يوجد مدارس حكومية ومدارس خاصة ، بل كل المدارس في بلادي على نفس الدرجة من الرقي والنظافة واتباع أحدث الأساليب ، أستطيع أن أرى المبدعين من أبنائها يتخرجون من مدارسها وجامعاتها أفواجاً ليبهروا العالم باختراعاتهم وإنجازاتهم .

أرى في بلادي قيمة الإنسان عالية ، وكرامته غالية ، فهو يعالج في أحسن المستشفيات ، ولما لا؟ فكل المشافي في بلادي على أعلى مستوى من التكنولوجيا والخبرة والرعاية الطبية، وله الحق في أن يتعلم في أحسن المدارس ولما لا؟ فكل المدارس في بلادي راقية ، وكل فرد له الحق في أن تقضى مصالحه بيسر وسهولة واحترام .

obeikan.com

أرى المـرور في بـلادي يسـير في نظـام وانضبـاط ، دون زحـام أو ضوضـاء ، ولمـا لا؟ فشرطـي المـرور يقـوم بواجبـه ، والنـاس في الشـارع يلتزمـون بقواعـد المـرور .

أرى الصناعـة في بـلادي في تقـدم مسـتمر فقـد أصبحنـا نخـترع وننتـج ونصـدر ، بـل ان منتجاتنـا تحتـل الصـدارة في السـوق العالمـي ، فـلا يسـتطيع منتـج أجنبـي أن ينافسـها في الجـودة ولـذا يتهافـت عليهـا النـاس في كل مـكان بالعـالم.

أرى الزراعـة في بـلادي تزيـد وتزدهـر، ومسـاحات الأراضي الزراعيـة لدينـا تعظـم وتتسـع ، نـزرع فيهـا جميـع أنـواع الخـضراوات والفاكهـة والحبـوب فنحـن الآن نـأكل مـن زرعنـا ونلبـس مـن صنـع أيدينـا .

أرى صحـراء بـلادي وقـد تحولـت إلى جنـان وزروع وأشـجار وعمـران .

لا أرى شـخص في بـلادي بـلا عمـل بـل كل فـرد في بـلادي يعمـل بجـد وبإخـلاص وإتقـان ويتمنـى أن يكـون يـوم إجازتـه أيضـاً عمـل ، ولم لا ؟ فـكل شـخص يعمـل في المجـال الـذي يحبـه ويهـواه ، وأصبـح العمـل بالنسـبة لـه هـو لحظـات المتعـة والمنافسـة والإبـداع .

أرى بـلادي العربيـة والإسـلامية وقـد صـارت وحـدة واحـدة ووطـن واحـد وعـلى قلـبٍ واحـد ليـس بـين بلدانهـا تأشـيرات أو حواجـز، لهـا سـوقٌ مشـتركة ،وعملـة واحـدة ، وقطـارات تربـط بـين أرجائهـا ،

وأصبحت الدول الإسلامية وكأنها بلدان صغيرة في دولة كبيرة.

وتخيل أن هذا الجمال المادي لن يتأتى إلا بعد تحقيق الجمال الأروع ألا وهو الجمال المعنوي والمتمثل في جمال الأخلاق، فجمال الأماكن ما هو إلا مجرد انعكاس لجمال النفوس، وصفاء القلوب .

فهذا الجمال وهذا التقدم وهذه الأحلام الجميلة لن تتحقق إلا إذا برزت القيم على السطح أولاً، فالالتزام و الأمانة والصدق في التعاملات بين الناس، وتقدير قيمة الوقت واحترام العمل، واحترام الآخر أساساً للبناء،
و الحب والود والرحمة والعفو والتسامح والتواضع هو روح وقلب هذا البناء، أما التعاون والتآخي وروح الفريق فهي اليد القوية للبناء.

openkan.com